

كتب بالإنكليزية

بناء الدولة*

State - Building

Barry Rubin

Cambridge: Harvard University
Press, 1999. 288 pages.

يسعى هذا الكتاب الغني بالمعلومات، والمؤلف من قبل مراقب واسع الاطلاع على السياسة والمجتمع الفلسطيني، لتقويم تطور المؤسسات السياسية الفلسطينية. ويبدل المؤلف فيه، خلافاً لكتبه السابقة في هذا الموضوع، قصارى جهده كي يكون منصفاً، وكي يفهم سياق السياسة الفلسطينية. وفي حين يقدم مسحاً شاملاً لهذه السياسة تحت حكم السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، يحاول أيضاً ربط مرحلة النضال الوطني الفلسطيني السابقة لعملية أوسلو بالمرحلة الأخيرة من هذا النضال.

يعتمد روبن، في تحليله المؤسسات السياسية والبنية التحتية للسلطة الفلسطينية وتحول الممارسة الديمقراطية في أثناء حكم عرفات، على الكتب والمقالات المنشورة وروايات الجرائد (معظمها بالعربية والعبرية، من خلال ترجمات... في الغالب)، معززة ببعض المقابلات. وما يميز هذا الكتاب هو المعرفة الوثيقة للمؤلف بالمحركات الداخلية للسياسة الفلسطينية والعلاقات بين مختلف الفصائل في المجتمع الفلسطيني. فيتعرف المرء على الشخصيات الرئيسية في السلطة الفلسطينية، فضلاً عن الشخصيات الرئيسية في المعارضة. ويقوم روبن أداء شبه الحكومة، ويحلل ديناميات الرأي العام الفلسطيني الذي لا يلقى، في الغالب، الاهتمام الذي يستحق في وسائل الإعلام والثقافة السياسية الأميركية.

يقدم روبن أيضاً معلومات عن الأجهزة الفلسطينية المتعددة (والمتنافسة غالباً) للسلطة الفلسطينية، من دون أن يعمد إلى التعميمات المألوفة المشوهة للثقافة العربية أو الفلسطينية التي تحل، في الغالب، محل التحليل المستند إلى المعلومات. والكتاب جيد التأليف، ويمكن أن يقرأه الخبراء والمبتدئون على السواء. ويرسم الفصل الخاص بالمعارضة صورة حية للسياسة الفلسطينية العامة، التي حافظت على التعددية على الرغم من أن عرفات استخدم سلطات الدولة لفرض إرادته على المعارضة.

تجدر الإشارة إلى أن روبن، الذي تعكس كتاباته الماضية والحالية تأييداً سافراً

(* المصدر: Journal of Palestine Studies, vol. XXXII, no. 1, Autumn 2002.

للمواقف والانحيازات الإسرائيلية، يبذل هنا جهداً مخلصاً وأحياناً ناجحاً في تقويم تجربة الدولة الفلسطينية الجينية بإنصاف، على الرغم من أن من السهل كشف تناقضات رئيسية في تقويمه. ذلك بأن عرفات كان مفيداً للحسابات الإسرائيلية، وهذا ما قد يفسر معالجة روبن. كما أن دويلة عرفات خدمت المصالح الإسرائيلية إلى حد كبير، بدلاً من أن تستخدم مواردها في مصلحة الشعب الفلسطيني وحمائته، على الرغم من أن الزعماء الإسرائيليين والأميركيين لم يعتقدوا قط أن تنازلات عرفات التي لا تنتهي قد ذهبت إلى ما فيه الكفاية. ويشير روبن بحق إلى أن التجربة السياسية "خضعت لفحص دقيق ومكثف وفقاً لمعايير عالية جداً" (ص 45). كما أنه يقارن إيجابياً التجربة السياسية الفلسطينية بتجارب دول العالم الثالث الأخرى، ويبرز ثراء الطبيعة التعددية لهيئات الدولة السياسية وتنوع مجموعات المعارضة. وهو يقول: "إن السياسة الفلسطينية لم تركز على نظام الحزب الواحد" (ص 24). وهذا، طبعاً، يعود الفضل فيه للشعب الفلسطيني وتطلعاته ووعيه السياسي، لا لعرفات أو الولايات المتحدة وإسرائيل (وكلتاها أرادت أن يجمع عرفات الجميع ويضطهدهم باسم محاربة "الإرهاب").

غير أن روبن يقع أحياناً في شرك التصنيفات (اللا) الأخلاقية المرعبة المستخدمة في إسرائيل، إذ يستخدم مصطلح "إرهابي"، الذي فقد معناه بصورة عامة، لوصف الفلسطينيين وما تنعته إسرائيل بأعمال "الإرهاب" التي يرتكبها الفلسطينيون (ص 25، 24، 108، 61). وما دام كتاب، مثل روبن، لا يستحضرون هذه الكلمة لوصف الأفعال التي ترتكبها إسرائيل، والتي راح ضحيتها منذ سنة 1948 من المدنيين الأبرياء الفلسطينيين أكثر مما سقط من المدنيين الإسرائيليين على أيدي الفلسطينيين، فإن استعمالها يصب في مصلحة الدعاية الإسرائيلية فحسب.

كما أن روبن يتقبل الادعاءات الإسرائيلية بشأن من هو "الإرهابي" من دون نقاش (ص 61). وفي حين أنه قرأ الكثير من المصادر لتوثيق مادة كتابه، نجد أحياناً غياباً للتوثيق، أو نقصاً فيه. مثال ذلك: استندت المعلومات المتعلقة بفيصل الحسيني (ص 21) إلى صحيفة إسرائيلية و"مقابلات غير مسجلة" (ص 224)، لكننا لا نعرف مع من جرت المقابلات. كما أن دليله على وجود تحالف بين عرفات وحماس هو مناسبة تقبيل عرفات للشيخ أحمد ياسين "عدة مرات" (ص 120).

وعلى الرغم من أن الأخطاء قليلة في الكتاب فإن الكاتب يدعي، مخطئاً، أن الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تعارض التفاوض والتسوية (ص 163). كما أنه يستمتع دائماً (كما في أعماله السابقة) بتسقط أكثر البيانات التي يصدرها الفلسطينيون تهجماً وإضراراً بمصلحتهم (ص 182)، لكن لا يبدو أن التحامل على المسلمين والفلسطينيين السائد في إسرائيل يسبب له أي إزعاج. كما أن كتابته للأسماء العربية

بالحروف اللاتينية قريبة من تلك المستخدمة في الصحف الإسرائيلية، وبعيدة عن المعايير الأكاديمية.

يبدو روبن، في خلاصاته، مقتنعاً، عن حسن نية ظاهرياً، بأن الشعب الفلسطيني يواجه عدداً كثيراً من التحديات، كلها داخلية، ومصدرها الجسم السياسي الفلسطيني (ص 201). لكنه يحلل التطورات السياسية الفلسطينية كما لو أنها تحدث في فراغ، بعيداً عن مسلسلات القتل الإسرائيلية والاعتقالات، والصعوبات الاقتصادية المفروضة والابتزاز، والخداع، والدعاية، والضغوط، وحملة من المطالب والطلبات التي لا تنتهي. إن التطورات السياسية الأخيرة في فلسطين تثبت أن عدو الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية يوجد في الدولة الإسرائيلية (وربما في الحكومة الأميركية أيضاً). مع ذلك، نوصي بهذا الكتاب للمتخصصين والدارسين على السواء. فهو يحتوي على معلومات مفيدة، ويغطي فترة مهمة من النضال الفلسطيني الطويل من أجل الحصول على دولة.

أسعد أبو خليل

أستاذ مشارك للعلوم السياسية

في جامعة ولاية كاليفورنيا

في ستانيسلاوس

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>